الكتاب: لوامع الحقائق في أصول العقائد
المؤلف: ميرزا أحمد الآشتياني
الجزء: ٢
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع: ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م
المطبعة:
الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان
ردمك:
ملاحظات:

لوامع الحقائق
في
أصول العقائد
تأليف
حضرة الأستاذ المحقق الآقا ميرزا أحمد الآشتياني
مد ظله
الجزء الثاني
(مبحث الإمامة)

الإمامة هي الرياسة العامة الإلهية لشخص من الأشخاص خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أمور الدين والدنيا ويجب اتباعه على جميع الأمة وفيها مطالب – المطلب الأول في الإمامة العامة ولزوم الإمام والخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله عقلا ونقلا.

أما الدليل العقلي – فبيانه أنا لما ذكرنا في مبحث النبوة أنه لا بد في تمامية حكمة إيجاد العالم الجسماني وانتظام أمور الخلق معاشا ومعادا من وجود عالم حكيم منزه معصوم من غير اختصاص ذلك بزمان وعصر وقرن وثبتت أيضا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وكذا خاتميته وأن لا نبي بعده وأن دينه شريعته باقية إلى يوم القيامة – و معلوم بالضرورة أن للشارع الحكيم في كل واقعة وأمر حكما يجب للناس العمل به – وبدل صريح الآيات القرآنية على حرمة التشريع والبدعة في الدين (١) ومعلوم أيضا أن القرآن الكريم الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان معجزة باقية له إلى يوم القيامة لا يكون وحده

---

١ – كقوله تعالى: " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " وفي آية أخرى " فأولئك هم الظالمون " وفي أخرى " فأولئك هم الفاسقون " ٤٥ – ٤٦ – ٤٧ – سورة المائدة وقوله سبحانه " إن الظن لا يغني من الحق شيئا " سورة يونس – ٣٦ وسورة النجم – ٢٨ وقوله عز وجل " ولا تقف ما ليس لك به علم " سورة بني إسرائيل – ٣٦ – وقوله عز من قائل " إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون " سورة الأنعام ١٤٨.

وافيا لهداية الخلق وتعليمهم وتكميلهم (١) ولا يرتفع به الاختلافات الواقعة بين المسلمين، لأن كلا يفسره على طبق رأيه ومسلكه، مع أن فيه الآيات المجملة والمتشابهة التي يحتاج فهم المراد منها إلى مفصل ومفسر ومبين مرتبط ببيت الوحي والرسالة فبالضرورة يلزم أن يكون له صلى الله عليه وآله أوصياء يقومون مقامه بعد ارتحاله فيما كان قائما به صلى الله عليه وآله في حياته من تعليم العباد وتكميلهم وتبليغ أحكام – الدين وإجراء قوانينه وغير ذلك مما ذكرناه سابقا في فوائد وجود – النبي – ويثبتون للخلق حقية الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وآله بالبراهين – القطعية أو بإظهار المعجزات والكرامات ويبينون لهم الآيات المجملة والمتشابهة القرآنية (٢) ويحفظون شرعه صلى الله عليه وآله من التغيير والتبديل.

---

١ – لحديث الثقلين المتواتر المتفق عليه بين الفريقين روى الثعلبي في تفسير قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ".
بأسانيد متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، حق اليقين شبر: ١٥٨).
٢ – " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كن من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الباب، آل عمران: ٦.

وأما الدليل النقلي فمن القرآن الكريم آيات.
منها قوله تعالى: " وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " (١).
وقوله تعالى: " إنما أنت منذر ولكل قوم هاد " (٢).
وقوله تعالى: " فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " (٣).
وقوله تعالى: " ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم و جئنا بك شهيدا على هؤلاء " (٤).
وهذه الآيات تدل على أن في كل عصر من الأعصار يجب أن يكون في الخلق منذرا وهاديا من الله سبحانه لتعليمهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وآله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وهذا الحديث من المتفق عليه بين الكل ولا إشكال في دلالته على المدعى.
المطلب الثاني في أوصاف الإمام.
١ - لا بد أن يكون الإمام معصوما عن ارتكاب القبائح والفواحش وعن الخطاء والغفلة والسهو والنسيان.
٢ - وأن يكون أفضل الخلق بعد الرسول الله صلى الله عليه وآله في جميع - الصفات الكمالية.
أما الدليل على لزوم عصمته فأمور.
منها - أن الإمام قائم مقام النبي صلى الله عليه وآله، وحافظ لشرعه ودينه فكما أن النبي يجب أن يكون معصوما وإلا لجاز عليه الكذب وغيره من المعاصي والسهو والنسيان، فكذالك الإمام.

---

١ - الفاطر: ٢٣.
٢ - سورة الرعد: ٩.
٣ - سورة النحل: ٤٦.
٤ - سورة النحل: ٩٢.

فلو جازت عليه المعصية والخطاء والسهو والنسيان فلا اعتماد بقوله أصلا، فليزم أن يكون محفوظا عما ذكر ليطمئن الناس في الركون إلى أقواله وأفعاله وليؤمن من الزيادة والنقصان في الدين.

ومنها أن الإمام منصوب لبعث الناس إلى طاعة الله تعالى و زجرهم عن مخالفته ولردع الظالم عن ظلمه والانتصاف للمظلوم عن الظالم وقلع مواد الفتن والفساد فلو لم يكن معصوما وجاز عليه – الخطاء والسهو والنسيان وخالف أمرا من أوامره تعالى أو نهيا من نواهيه عمدا أو خطاء فلا يليق لمنصب الإمامة والخلافة ويحتاج إلى إمام آخر رادع له وهكذا فيتسلسل.

ومنها أن الإمام يكون واسطة بين الله تعالى وبين الخلق و بهذه الجهة يكون أقرب الناس إليه عز وجل، فلو لم يكن واجدا لمرتبة العصمة وكان مظنة لصدور العصيان عمدا أو خطاء وسهوا لم يكن أقرب.

ومنها أن الشيطان كما في القرآن العظيم قال. " فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين (١).

وقال الله سبحانه: " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين " (٢).

وقال أيضا في قصة يوسف: " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين " (٣).

---

١ – سورة ص: ٨٤ – ٨٥.

٢ – سورة الحجر: ٤٣.

٣ – سورة يوسف: ٢٥.

فمن لم يكن معصوما وأمكن صدور المعصية منه ولو خطاء أحيانا لم يكن معدودا في عداد المخلصين بالمعنى الذي يكون مرادا في الآيات فلا يليق للرياسة الإلهية على جميع الخلائق ومنصب الإمامة والزعامة – العامة.

ومنها – أن الإمام لو لم يكن معصوما لأمكن أن يدعو الناس إلى خلاف الحق والصواب، فيكون مضلا مع أنه سبحانه قال: " وما كنت متخذ المضلين عضدا " (١).

ومنها قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا – الرسول وأولي الأمر منكم " (٢).

وجه الدلالة أنه سبحانه قرن طاعة أولي الأمر بطاعة نفسه و طاعة رسوله وأوجب على الخلق إطاعتهم على الإطلاق، ولا يمكن أن يوجب الله عز وجل إطاعة أحد من الخلق على الإطلاق، إلا من كان مأمونا من الخطاء والغفلة والسهو والنسيان وكان متصفا بصفة العصمة وعالما بجميع أحكام الشرع، حتى يكون كل ما أمر به أو نهى عنه حجة ويكون أمره ونهيه أمر الله تعالى ونهيه ويجب متابعته في جميع أقواله وأفعاله.

ومنها قوله تعالى: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي – الظالمين " (٣) أي عهدي وهو الإمامة لا ينال الظالمين من ذريتك كما

---

١ – سورة الكهف: ٥٠.
٢ – سورة نساء ٦٣.
٣ – سورة بقرة: ١٢٤.

عن مفسري العامة والخاصة، فأن الظالم أعم من أن يظلم غيره أو يظلم نفسه، بأن يشرك بالله تعالى أو يرتكب معصية من المعاصي كما قال عز وجل حكاية عن قول لقمان لابنه " يا بني لا تشرك بالله إن – الشرك لظلم عظيم " (١).

وقال تعالى " فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد " (٢) والآية تدل على أن الإمامة لا تنال الظالم ومقتضى إطلاقه أن الظالم لا يليق لمنصب الإمامة في حال الظلم وغيره لأن المراد من الظالم فيها أما من تلبس بالظلم حين إعطاء منصب الإمامة، أو من كان متلبسا به في وقت من الأوقات، أما احتمال الأول فممنوع، لأن إبراهيم عليه السلام لا يستدعي من الله تعالى إعطاء منصب الإمامة لذريته ممن كان ظالما حين الإعطاء فيتعين الثاني فتدل الآية الشريفة على أن من كان متلبسا بالظلم في وقت من الأوقات لا يليق لمنصب الإمامة والخلافة.

ولما كان غير المعصوم معرضا للظلم ولا يكون مأمونا ومصونا عن صدوره منه أحيانا ولا يمكن أن يقال له إنه عادل بقول مطلق و بلحاظ تمام مدة عمره لإمكان صدور المعصية منه في آن ما أو الخطاء الذي يشارك العمد في الإغراء والاضلال يستفاد اعتبار العصمة منها.

---

١ – سورة لقمان: ١٣.

٢ – سورة فاطر: ٣٢.

وأما الدليل على لزوم أفضليته عن غيره فلا مرين، أحدهما أنه لو لم يكن الإمام أفضل لكان إما مساويا مع غيره أو أدون، فإن كان الأول لزم الترجيح بلا مرجح وهو باطل عقلا (١) وإن كان الثاني لزم ترجيح المرجوح على الراجح وهو قبيح عقلا ونقلا كما هو ظاهر لقوله تعالى: " أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون " (٢) وقوله تعالى: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (٣) وقوله: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " (٤) وقوله: إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم " (٥) فلا بد أن يكون أفضل.

الثاني – أن الإمام معلم الأمة وهاديها، لأنه قائم مقام النبي صلى الله عليه وآله في تعليم الخلق وتكميلهم فيلزم أن يكون أعلم و أفضل من جميع الأمة.

المطلب الثالث في طريق تعيين الإمام – ذهب الإمامية إلى أن طريق تعيين الإمام منحصر بأمرين.

أحدهما النص على إمامته، أما من الرسول صلى الله عليه وآله بأمر ووحي من الله سبحانه، أو من الإمام السابق المنصوص على إمامته.

وثانيهما ظهور المعجزات على يد المدعي للإمامة، حتى تدل على صحة دعواه وصلاحيته للإمامة وليس أمر تعيينه بيد الخلق أصلا

---

١ – كما ذكر وجهه في صدر مبحث النبوة فراجع.

٢ – يونس: ٣٥.

٣ – الزمر: ١٣.

٤ – مجادلة: ١٢.

٥ – البقرة: ٢٥٠.

لأن الاطلاع على ما ذكر في أوصاف الإمام من العصمة التي هي من الأمور الخفية والأفضلية على الخلق في جميع الفضائل والكمالات وغيرهما خارج عن عهدة البشر الغير المرتبط بالوحي، فلا بد أن يكون منصوبا من قبل الله عز وجل، ويدل عليه أيضا أنه تعالى كلما ذكر الإمام والخليفة في كتابه الكريم أسند تعيينه إلى ذاته المقدسة، كقوله سبحانه للملائكة " إني جاعل في الأرض خليفة " (١) وقوله في حق إبراهيم عليه السلام " إني جاعلك للناس إماما " (٢) وقوله في حق إبراهيم و إسحاق ويعقوب عليهم السلام " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " (٣) وقوله في حق داود عليه السلام " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض " (٤) وقوله في حق بني إسرائيل " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا " (٥) وقوله عز وجل حكاية عن سؤال موسى " واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري " (٦).

فلو صلح الخلق لتعيينه لما أسند عز وجل جعله إلى نفسه في تلك الموارد ولما أحتاج موسى عليه السلام مع وفور علمه ومقام نبوته إلى السؤال عنه تعالى ليجعل أخاه هارون خليفة ووزيرا له ولم يمن الله سبحانه عليه بإعطاء سؤله بقوله " قد أوتيت سؤلك يا موسى " (٧) وأيضا لو كان أمر تعيينه بيد الخلق لما ذم سبحانه الذين نفوا صلاحية الرسول صلى الله عليه وآله

---

١ - البقرة: ٣٠.
٢ - البقرة: ١٢٤.
٣ - الأنبياء: ٧٣.
٤ - سورة ص: ٢٦.
٥ - السجدة: ٢٤.
٦ - طه: ٢٩.
٧ - طه: ٣٦.

لنزول القرآن عليه بقولهم " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (١) ولم يقل في ردهم " أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا " (٢) يعني أنهم لا يتمكنون من تقسيم أرزاقهم وتعيين حصة كل واحد منهم على ما ينبغي، مع أنها من الأمور المتعلقة با الحياة الدنيوية الفانية، فكيف يقدرون على تقسيم رحمة الرب وتعيين محلها وهي النبوة والإمامة وهي الرياسة العامة الإلهية التي تكون من الأمور المهمة المعنوية الروحانية لشخص من الأشخاص هذا.

وذهب أهل السنة والجماعة بعد اتفاقهم على لزوم الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا جماعة من الخوارج والأصم من المعتزلة، حيث نفوا وجوب نصب الإمام مطلقا والكرامية في غير حال الحرب إلى أن تعيين الإمام ونصبه من وظيفة الأمة، بأن يجتمعوا ويتفقوا على اختيار شخص للإمامة والبيعة معه وقالوا إن ذلك الإجماع حجة لا بد من اتباعه والنكول والتخلف عنه حرام، ولما عرفت عقلا ونقلا أن تعيين الإمام ونصبه ليس بيد الخلق، علمت بطلان ما ذهبوا إليه، و سنذكر بطلان طريقتهم ومستندهم مضافا إلى ما ذكر في المقام في المطلب الآتي.

المطلب الرابع في الإمامة الخاصة وتعيين شخص الإمام، الإمام على مذهب الحق وهو مذهب الشيعة الاثني عشرية وخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم بعده الحسن بن علي، عليه السلام، ثم بعده الحسين بن علي عليه السلام ثم بعده علي بن –

---

١ – الزخرف: ٣١.
٢ – الزخرف: ٣٢.

الحسين زين العابدين عليه السلام ثم بعده محمد بن علي الباقر عليه السلام ثم بعده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ثم بعده موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ثم بعده علي بن موسى الرضا عليه السلام ثم بعده محمد بن علي الجواد عليه السلام ثم بعده علي بن محمد النقي عليه السلام ثم بعده الحسن بن علي العسكري عليه السلام

ثم بعده صاحب العصر والزمان الحجة المنتظر عليه السلام الذي يملأ الله به الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا.

والدليل – على ذلك هو أن العصمة والأفضلية عن الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأوصاف اللازم تحققها عقلا ونقلا في الإمام مختصة بهم، لما دل على ذلك الآيات والروايات المعتبرة التي سنشير إليها، فإن غيرهم ليس بمعصوم باتفاق الأمة فانحصرت – العصمة فيهم، لنزول آية التطهير في شانهم ولأن الفضائل والكمالات النفسانية والبدنية بأجمعها موجودة في كل واحد منهم، بشهادة – التواريخ المعتبرة والأخبار المستفيضة المتلقات بالقبول عند – الفريقين. فهم أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله دون غيرهم، ولظهور المعجزات على أيديهم كما هو مذكور متواترا في محالها، ولورود – النصوص المتواترة القطعية على إمامتهم كما سنذكرها.

وخالف في ذلك أهل السنة والجماعة فذهبوا إلى خلافة ابن بكر بعد الرسول صلى الله عليه وآله ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم علي بن أبي طالب عليه السلام، مع أن المتفق عليه بين الفريقين أن أبا بكر وتالييه لم يكونوا معصومين، بل كانوا قبل أن أسلموا كفارا عابدين للأصنام فلا يليقون لمنصب الإمامة والخلافة بحكم العقل والنقل كما تقدم بيانه، فيتعين أن يكون علي عليه السلام هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لما سبق وللأدلة الدالة على أفضليته التي منها قوله تعالى مخاطبا للنبي

صلى الله عليه وآله في آية المباهلة، " قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا و نسائكم وأنفسنا وأنفسكم " فإن المراد من أنفسنا في الآية هو
أمير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام باتفاق المفسرين، وواضح إن من جعل الله عز وجل نفسه منزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله كان مساويا له في جميع الفضائل سوى ما خرج بالدليل، فكما أنه صلى الله عليه وآله أفضل من جميع أمته وأصحابه لا يشك فيه أحد، بل أفضل من جميع الأنبياء، فكذلك من هو بمنزله نفسه الشريفة.

ومنها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقه عليه السلام: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في خلته " في حلمه " وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومقضاه أن عليا عليه السلام أفضل من كل واحد من الأنبياء السابقين عليهم السلام، لأن ما لكل واحد من الأنبياء العظام المذكورة من الفضل والكمال المخصوص به متحقق ومجتمع فيه عليه السلام فهو أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله بالضرورة.

ومنها خبر الطائر وهو أنه كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير مشوي فقال (ص): اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي عليه السلام فأكل معه. ودلالته على المدعى ظاهرة.

---

١ - أخرجه الترمذي في المجلد الثاني من صحيحه - ص ٢١٣ دهلي سنة ١٣٥٠ وأورده العلامة الحلي قدس سره في كتابه الموسوم بكشف الحق عن مسند أحمد بن حنبل والجمع بين الصحاح الستة والمجلسي قدس سره في المجلد التاسع من البحار (كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام - باب ٦٩ خبر الطير) عن الاحتجاج وأمالي الشيخ وكشف الغمة وبشارة المصطفى والمناقب وأمالي الصدوق والطرائف والعمدة بأسانيد مختلفة وأورده القوشجي في شرحه على التجريد واعترف بصحته فضل بن روزبهان حيث قال: حديث الطير مشهور وهو فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة، وأخرج الترمذي أيضا في المجلد الثاني من صحيحه ص ٢٢٧ ط دهلي عن ابن بريدة عن أبيه قال كان أحب النساء إلى رسول الله (ص) فاطمة ومن الرجال على وعن جميع بن عمير التميمي قال: دخلت مع عمتي على عايشة فسئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله (ص) قالت: فاطمة فقيل من الرجال قالت: زوجها إن كان ما علمت صواما قواما

ومنها أنه عليه السلام لم يشرك بالله عز وجل طرفة عين وكان أول من آمن وأول من صلى، يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين، حوقيل مؤمن آل فرعون، و حبيب النجار صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم وقوله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام بعد تزويجها بعلي عليه السلام: زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وأنه لأول أصحابي إسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما (٢)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أول هذه الأمة ورودا على الحوض أولها، إسلاما علي بن أبي طالب (٣).

---

١ - أورده علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية: باب ذكر أول الناس إيمانا به صلى الله عليه وآله جزء ١، ص ٣٠٥ ط مصر وروى الفخر الرازي في الجزء السابع والعشرين من تفسيره الكبير ص ٥٧ ط مصر ذيل قوله تعالى " وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، سورة المؤمن ٢٨ -. عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: الصديقون ثلاثة، حبيب النجار مؤمن آل ياسين ومؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله والثالث علي بن أبي طالب وهو أفضلهم وهذه الرواية رواها أيضا ابن حجر في الفصل الثاني من الباب التاسع من صواعقه مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه.

٢ و ٣ - أوردهما الحلي في السيرة باب ذكر أول الناس إيمان به صلى الله عليه وآله جزء ١ ص ٣٠٣ ط مصر وابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب (ع).

وعن زيد بن أرقم: أول من آمن بالله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام (١) وعنه أيضا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن
أبي طالب عليه السلام (٢) وعن ابن عباس قال: إن لعلي عليه السلام أربع خصال ليست
لأحد غيره، هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف: وهو الذي صبر معه يوم فر عنه غيره،
وهو الذي غسله وأدخله قبره (٣) وعن أنس بن مالك قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله
يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثا. (٤) وغيرها من الروايات الواردة في ذلك.
ومنها - قوله: أنا دار الحكمة وعلى بابها (٥).

---

١ - أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب (ع).
٢ - تقدم آنفا تحت رقم ١.
٣ - تقدم آنفا تحت رقم ١.
٤ - أخرجه الترمذي في المجلد الثاني من صحيحه ص ٢١٤ ط دهلي وأورده ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب (ع) وقال القوشجي في شرحه على التجريد بعد قول المحقق قدس سره (وأقدمهم إيمانا) يدل على ذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال: بعثت يوم الاثنين وأسلم علي عليه السلام يوم الثلاثاء - وقوله صلى الله عليه وآله: أولكم إسلاما علي بن أبي طالب (ع). وما روي عن علي (ع) أنه كان يقول: أنا أول من صلى وأول من آمن بالله ورسوله ولا يسبقني إلى الصلاة إلا نبي الله وكان قوله مشهورا بين الصحابة ولم ينكر عليه منكر، فدل على صدقه وإذا ثبت أنه أقدم إيمانا من الصحابة كان أفضل منهم لقوله تعالى: " والسابقون السابقون أولئك المقربون " وروي أنه عليه السلام قال: على المنبر بمشهد من الصحابة: أنا الصديق الأكبر آمنت قبل إيمان أبي بكر (أن آمن أبو بكر) وأسلمت قبل أن أسلم، ولم ينكر عليه منكر فيكون أفضل من أبي بكر، انتهى.
٥ - أخرجه الترمذي في المجلد الثاني من صحيحه ص ٢١٤ ط دهلي.

وقوله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه (١) وقوله صلى الله عليه وآله في أصحابه أقضاهم علي بن أبي طالب عليه السلام (٢) وعن سعيد بن المسيب قال ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب عليه السلام (٣) وعن أبي الطفيل قال: شهدت عليا عليه السلام يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شئ إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل (٤) وعن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال – قال عمر: على أقضانا (٥) وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها – فقال له علي عليه السلام إن الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا... الحديث وقال له إن الله رفع القلم عن المجنون... الحديث فكان عمر يقول: لولا على لهلك عم (٦) وعن عبد الملك بن أبي سليمان قال قلت لعطاء أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحد أعلم من علي عليه السلام

قال لا والله ما أعلمه (٧) وعن جبير قال قالت عايشة: من أفتاكم بصوم عاشوراء؟ قالوا: علي قالت: أما أنه لأعلم الناس بالسنة (٨) وعن سعيد بن وهب قال قال عبد الله: أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب عليه السلام (٩) وكان معاوية يكتب فيما نزل به ليسئل له علي بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك فلما بلغة قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب فقال له أخوه عتبة لا يسمع هذا منك أهل الشام فقال له دعني عنك (١٠).

---

١ – أورده ابن عبد البر في ترجمة علي بن أبي طالب (ع) من كتاب الإستيعاب والعلامة الحلي قدس سره في كتاب كشف الحق ونهج الصدق نقلا عن مسند أحمد بن حنبل وصحيح مسلم واعترف بصحته فضل بن روزبهان.

٢ – تقدم آنفا تحت رقم ١.

٣ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب (ع) والعلامة الحلي في كتاب كشف الحق نقلا عن صحيح مسلم مع زيادة.

٤ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام،

٥ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام،

٦ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام،

٧ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام،

٨ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام،

٩ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام،

١٠ – أوردها ابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام،

ومنها أنه عليه السلام كان أكثر جهادا وأشد بلاءا في غزوات النبي صلى الله عليه وآله وغيرها ولم ينل أحد درجته ومرتبته في ذلك وهذا واضح لمن راجع التواريخ والسير المدونة من الفريقين ويكفي في هذا المقام ذكر ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقه يوم خبير والأحزاب، ففي غزوة خيبر يأخذ اللواء كل يوم واحد من أصحابه صلى الله عليه وآله فيرجع ولم يفتح، فأخذها أبو بكر فانصرف ولم يفتح له (وفي نقل فرجع مع أصحابه منهزمين خائفين).

ثم أخذها عمر من الغد ففعل مثل ذلك وأصاب المسلمين يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله له وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة إلا ورجا أن يعطاها (وفي نقل فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح – الناس غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يرجو أن يعطاها – وعن عمر بن الخطاب أنه قال: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم (١) فقال صلى الله عليه وآله: أين علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: إنه أرمد العين، فقال:

---

١ – أورده الحلبي في السيرة (غزوة خيبر) جزء ٣ صفحة ٤١ ط مصر – والسيد أحمد زيني الشافعي المشهور بدحلان في السيرة النبوية والآثار المحمدية (غزوة خيبر) هامش السيرة الحلبية جزء ٢ – ص ٢٣٩ ط مصر.

آتوني به فتفل في عينيه ودفع الراية إليه ومضى علي عليه السلام فلم يرجع حتى فتح الله على يديه (١).

وعن حذيفة قال: لما تهيأ علي عليه السلام يوم خيبر للحملة قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي والذي نفسي بيده إن معك من لا يخذلك هذا جبرئيل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة، يا علي إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم (٢) وفي يوم الأحزاب دعا عمرو بن عبد ود وهو بطل المشركين إلى البراز فامتنع المسلمون عن مبارزته غير علي عليه السلام فكرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لي رجلا، وفي كل ذلك يقوم علي عليه السلام ويقول: أنا له يا رسول الله وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول له اجلس لينظر صنع المسلمين، فلما رأى صلى الله عليه وآله امتناعهم أذن له عليه السلام وألبسه درعه الحديدة وعممه بعمامته وقال: اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني

---

١ - أورده العلامة الحلي في كتاب كشف الحق ونهج الصدق عن مسند أحمد بن حنبل وصحيحي مسلم والبخاري.
والقوشجي في شرحه على التجريد عند قول المحقق (وخيبر) واعترف بصحته فضل بن روزبهان حيث قال: حديث خيبر صحيح وهذا من الفضائل العلية لأمير المؤمنين لا يكاد يشاركه فيها أحد انتهى، والحلبي في السيرة جزء ٣ ص ٤١ - ٤٣ ط مصر والسيد أحمد زيني الشافعي في السيرة النبوية والآثار - المحمدية (غزوة خيبر) هامش السيرة الحلبية جزء ٢ ص ٢٣٩ ط مصر وابن عبد البر في الإستيعاب في ترجمة علي بن أبي طالب (ع) وأخرجه الترمذي في المجلد الثاني من صحيحه عن سعد بن أبي وقاص ص ٢١٤ ط دهلي.
٢ - أورده الحلبي في السيرة (غزوة خيبر) جزء ٣ ص ٤٣ ط مصر.

فردا وأنت خير الوارثين، فمشى إليه علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم اليوم
برز الإيمان كله إلى الشرك كله، فقتله وعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قتل على لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين (١) أو لضربة على خير من عبادة الثقلين (٢).
ومنها أنه عليه السلام كان من ذوي القربى الذين أوجب الله تعالى على الخلق محبتهم ومودتهم - قال تعالى " قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى (٣).

---

١ - أورده الحلبي في السيرة (غزوة الخندق) جزء ٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ٣٤١ ط مصر.
٢ - أورده القوشجي في شرحه على التجريد.
٣ - سورة الشورى: ٢٢. قال الفخر الرازي في الجزء السابع والعشرين من تفسيره الكبير ص ١٦٦ ط مصر ذيل آية المذكورة بعد نقل ما رواه صاحب الكشاف عن النبي (ص) في حب آل محمد (ع) وأنا أقول: آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ولا شك إن فاطمة وعليا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله (ص) أشد - التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل وأيضا اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب وقيل هم أمته فإن حملناه على القرابة فهم الآل وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله (ص) من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال على وفاطمة وابناهما فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي (ص) وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه. الأول قوله تعالى (إلا المودة في القربى) وجه الاستدلال به ما سبق. الثاني لا شك إن النبي (ص) كان يحب فاطمة عليها السلام، قال (ص): فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن محمد (ص) أنه كان يحب عليا والحسن والحسين عليهم السلام وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى: (واتبعوه لعلكم تهتدون (ولقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) ولقوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ولقوله سبحانه: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الثالث - إن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب وقال الشافعي
يا راكبا قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضا كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان إني رافضي

انتهى.

وقوله – صلى الله عليه وآله: لعلي عليه السلام لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (١) وقول صلى الله عليه وآله. من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله وقوله
صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام: من أحبني وأحب
هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة.
ومنها – حديث المنزلة المتواتر حتى روى جماعة من أكابر القوم
منهم الحافظ أبو بكر البغدادي في تاريخ بغداد والطبري في رياض – النضرة وغيرهما عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطاب أنه رأى رجلا

---

١ – البحار ج ٢٧ ص ٨٢.

يسب عليا – فقال: إني أظنك منافقا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما منزلة علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي و
يدل حديث الشريف على أن عليا عليه السلام بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله في جميع –
الصفات والملكات غير النبوة كما هو واضح (١).
وبالجملة – لا يخفى على الباحث الذي كان من أهل المعرفة
والبصيرة وجانب الهوى والعصبية، بطلان طريقتهم ومذهبهم، و
واضح عند كل من كان من أهل الفحص والتتبع بحكم العقل والنقل
كما تقدم، أن القائلين بخلافة أبي بكر وتالييه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع
أنهم خالفوا العقل والنقل، ليس لهم دليل معتمد أصلا سوي اتفاق نفر
يسير من الصحابة على على خلافة أبي بكر وادعائهم حجية ذلك الاتفاق
للحديث الذي رووه وأسندوه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا تجتمع
أمتي على الخطاء، ببيان أن مفهوم الحديث يدل على أن الأمة لو اتفقت
على أمر كان ذلك الاتفاق حجة وصوابا فخلافة أبي بكر حق وصواب
هذا، والسبب لهذه الدعوى الباطلة أي ادعائهم حجية ذلك الاتفاق
والتشبث في الحجية بالحديث المذكور الموضوع، هو ما ذكره –
المحدثون والمؤرخون من الفريقين – من النبي صلى الله عليه وآله في قرب
وفاته جعل أسامة بن زيد أميرا على جيش مشتمل على جمع من –
المهاجرين والأنصار وكان من جملتهم أبو بكر وعمر، وأمره بالخروج
من المدينة ولعن من تخلف عنه فخرج بجيشه من المدينة ولما اشتد –
المرض برسول الله صلى الله عليه وآله وعلما به وكان من قصدهما تصدي أمر الخلافة
بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تخلفا عن أمره ورجعا إلى المدينة، فلما قبض –
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورأيا اشتغال علي عليه السلام وسائر بني هاشم بتجهيز
النبي

---

١ – إحقاق الحق ج ٥ ص ١٨٦.

صلى الله عليه وآله سارعا مع موافقيهما إلى سقيفة بني ساعدة فاختاروا أبا بكر بمقتضى أغراضهم الشخصية وآرائهم الباطلة خليفة، ولهذا – الأساس الفاسد بنى أهل السنة والجماعة على أن في أي زمان اتفق جمع من الأمة على رئاسة شخص ومطاعيته يصير ذلك الشخص خليفة وتكون إطاعته واجبة على جميع الأمة بمقتضى قوله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ".

والحاصل – أنهم تمسكوا لإثبات مقصدهم وحقية الخلافة الإلهية بعد النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر باتفاق الأمة وحجية اتفاق المسلمين لقوله صلى الله عليه وآله: لا تجتمع أمتي على الخطاء: ولا شبهة في أن القياس ينتج النتيجة القطعية إذا كان الكبرى برهانيا والصغرى محرزا و وجدانيا وكلاهما منتفيان في المقام.

أما الكبرى فلأنه لم يثبت صدور الخبر المزبور الذي كبرى للقياس منه صلى الله عليه وآله وإذ لم يثبت صدوره لا يصح جعله كبرى والاستدلال به فإنه يعتبر في أصول العقائد (كما قرر في محله) العلم ولا علم بصدور الخبر المزبور، كما أشرنا لعدم التواتر، والنقل الغير البالغ حد التواتر غايته إفادة الظن (والظن لا يغني من الحق شيئا) ونهى الله تبارك وتعالى عن متابعة غير الطريق العلمي بقوله عز شأنه: " ولا تقف ما ليس له به علم ".

وأما الصغرى – فلأن المراد من الاتفاق والاجتماع إما إجماع جميع الأمة: كما هو مقتضى ظاهر الجملة المنقولة، أو بعضها و طائفة منها، فإن كان المراد هو اتفاق الكل فهذه دعوى باطلة قطعا لأن الاتفاق المدعى في المقام كما أشرنا آنفا هو الاتفاق الذي حصل من اجتماع جماعة معدودة في سقيفة بني ساعدة التي كانت دار ندوتهم

وتعاهدهم وتحالفهم ولم يحضرها أكثر المسلمين، بل لما سمعوا بذلك خالفهم جمع كثير من أكابر الصحابة، وأعاظم المسلمين من – القريش وغيرهم من المهاجرين والأنصار كما هو مذكور في كتب – التواريخ والأخبار مفصلا ونحن نذكر في هذه الرسالة أسامي جمع منهم مع مقالتهم على سبيل الاختصار.

وإن كان المراد اتفاق جماعة من الأمة، ففيه أولا أنه مستلزم للتناقض لاستلزامه لصحة ما اتفق عليه كل طائفة، فإنه بعدما قضى عثمان نحبه اختلفت كلمة المسلمين في تعيين الخليفة، فاجتمع جمع كثير منهم على خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمارته وأصروا على ذلك شديدا، واجتمع جمع آخر على خلافة معاوية ابن أبي سفيان لعنه الله وكل جماعة كان ينفي مختار الأخرى، فلو كان اتفاقهم حجة ودليلا للزم أن يكون كل واحد منهما خليفة و أن لا يكون خليفة.

وثانيا – من الأحاديث المعروفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن أمة موسى عليه السلام تفرقت بعده على واحد وسبعين فرقة، إحداها كانت على الحق، وإن أمة عيسى عليه السلام تفرقت بعده على اثنين وسبعين فرقة كانت إحداها على الحق، وإن أمتي تتفرق بعدي على ثلاثة وسبعين فرقة إحداها على الحق والباقون على الباطل وعليه فإذا اختلفت الأمة على طوائف يكون الحق مع إحدى الطوائف ومما قد اختلفوا فيه و يكون بمنزلة الأساس لسائر الاختلافات هو أمر الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا بد من التتبع والتحقيق عما هو الحق وتعيين من يكون خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وقد أقمنا البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل بعد النبي صلى الله عليه وآله وخلافة أولاده –

المعصومين عليهم السلام من بعده عقلا ونقلا كتابا وسنة فراجع.
قد وعدناك أيها القارئ الكريم أن نذكر شطرا من كلمات بعض المخالفين لبيعة أبي بكر التي ادعوا وقوعها في السقيفة فالآن ننجز الوعد بعون الله تعالى.
١ - منهم أبو قحافة قال الطبرسي في الاحتجاج وروي أن أبا قحافة كان بالطائف لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وبويع لأبي بكر فكتب ابنه إليه كتابا عنوانه: من خليفة رسول الله (ص) إلى أبي قحافة أما بعد فإن الناس قد تراضوا بي، فإني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أقر لعينك، قال: فلما قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرسول: ما منعكم من علي عليه السلام قال: هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها وأبو بكر أسن منه. قال أبو قحافة: إن كان الأمر في ذلك بالسن فإنا أحق من أبي بكر لقد ظلموا عليا حقه وقد بايع له النبي (ص) وأمرنا ببيعته.
ثم كتب إليه من أبي قحافة إلى ابنه أبي بكر. أما بعد فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضا، مرة تقول خليفة رسول الله (ص) ومرة تقول خليفة الله ومرة تقول تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غدا ويكون عقباك منه إلى النار والندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب بيوم القيامة، فإن للأمور مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى بها منك، فراقب الله كأتك تراه ولا تدعن صاحبها، فإن تركها اليوم أخف عليك وأسلم لك.
٢ - وفي الاحتجاج أيضا وروي عن الباقر عليه السلام أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: اكتب إلى أسامة بن زيد يقدم عليك، فإن

في قدومه قطع الشنيعة عنا فكتب أبو بكر إليه: من أبو بكر خليفة رسول الله (ص) إلى أسامة بن زيد. –
أما بعد فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إلي أنت ومن معك، فإن المسلمين قد اجتمعوا علي وولوني أمرهم فلا تتخلفن فتعصي ويأتيك مني ما تكره والسلام.
قال: فكتب أسامة إليه جواب كتابه: من أسامة بن زيد عامل رسول الله (ص) على غزوة الشام. أما بعد فقد أتاني منك كتاب ينقض أوله آخره، ذكرت في أوله أنك خليفة رسول الله، وذكرت في آخره أن المسلمين قد اجتمعوا عليك فولوك أمرهم ورضوك، فاعلم أني ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين فلا والله ما رضيناك ولا وليناك أمرنا، وانظر أن تدفع الحق إلى أهله وتخليهم وإياه فإنهم أحق به منك، فقد علمت ما كان من قول رسول الله (ص) في علي يوم الغدير، فما طال العهد فتنسى، انظر مركزك ولا تخالف فتعصي الله ورسوله وتعصي من استخلفه رسول الله (ص) عليك وعلى صاحبك ولم يعزلني حتى قبض رسول الله (ص) وأنك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتما في المدينة بغير إذن.
٣ – من المخالفين لبيعة أبي بكر خالد بن سعيد بن العاص، حيث قام في مسجد النبي (ص) والمسجد غاص بأهله من المهاجرين والأنصار وأبو بكر جالس فوق المنبر وقال: اتق الله يا أبا بكر، فقد علمت أن رسول الله (ص) قال: ونحن محتو شوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم، يا معاشر – المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها وموعدكم

أمرا فاحفظوه، ألا إن علي بن أبي طالب عليه السلام أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصرونه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم وولاكم أشراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي، اللهم من أطاعهم من بيتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيبا من مرافقتي يدركون به نور – الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يقتدى برأيه.

فقال له خالد: بل اسكت أنت يا بن الخطاب، فإنك تنطق على لسان غيرك وأيم الله لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسبا وأدناها منصبا وأخسها قدرا وأخملها ذكرا وأقلهم عناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنك لجبان في الحروب بخيل بالمال، لئيم العنصر، ما لك في قريش من فخر ولا في الحروب من ذكر وأنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان " إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء – الظالمين " (١) فأبلس عمر وجلس خالد بن سعيد (٢).

٤ – ومن المخالفين سلمان الفارسي، ثم قال سلمان الفارسي وقال: (كرديد ونكرديد) أي فعلتم ولم تفعلوا، وقد كان امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجئ عنقه، فقال: يا أبا بكر إلى من تسند

---

١ – الحشر: ١٦ و ١٧.

٢ – احتجاج الطبرسي ص ٩٩.

أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه، وإلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلمه وما عذرك في تقدمك على من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ومن قدمه النبي في حياته وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله وتناسيتم وصيته و أخلفتم الوعد ونقضتم العهد وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد حذرا من مثل ما أتيتموه وتنبيها للأمة على عظيم ما اجترمتموه من مخالفة أمره، فعن قليل يصفوا لك الأمر وقد أثقلك الوزر ونقلت إلى قبرك وحملت معك ما كسبت يداك، فلو راجعت الحق من قريب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم ما اجترمت، كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد في حفرتك ويسلمك ذوو نصرتك، فقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا فلم يردعك ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده ولاحظ للدين ولا المسلمين في قيامك به، فالله الله في نفسك فقد أعذر من أنذر ولا تكن كمن أدبر واستكبر.

٥ – ومنهم أبو ذر الغفاري، ثم قام أبو ذر الغفاري فقال: يا معشر قريش أصبتم قباحة وتركتم قرابة، والله ليرتدن جماعة من – العرب ولتشكن في هذا الدين، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان، والله لقد صارت لمن غلب، ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها، وليسفكن في طلبها دماء كثيرة، – فكان كما قال أبو ذر – ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله (ص) قال: الأمر بعدي لعلي، ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي فأطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به إليكم فأطعتم الدنيا الفانية و نسيتم الآخرة الباقية، التي لا يهرم شابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن

أهلها، ولا يموت سكانها بالحقير التافه الفاني الزائل، فكذلك - الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها، وغيرت وبدلت واختلفت فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة و عما قليل تذوقون وبال أمركم وتجزون بما قدمت أيديكم، وما الله بظلام للعبيد.

٦ - ومنهم مقداد بن الأسود - ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا أبا بكر ارجع عن ظلمك وتب إلى ربك والزم بيتك وابك على خطيئتك، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك: فقد علمت ما عقده رسول الله (ص) في عنقك من بيعته، وألزمك من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد وهو مولاه، ونبه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنان والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه (ص) " إن شانئك هو الأبتر " فلا اختلاف بين أهل العلم أنها نزلت في عمرو، وهو كان أميرا عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله (ص) في غزاة ذات السلاسل، وأن عمروا قلد كما حرس عسكره فأين الحرس إلى الخلافة، اتق الله وبادر بالاستقالة قبل فوتها فإن ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركن إلى دنياك ولا تغرنك قريش وغيرها: فعن قليل تضمحل عنك دنياك ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك وقد علمت وتيقنت أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله (ص) فسلمه إليه بما جعله الله له فإنه أتم لسترك وأخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي و إلى الله ترجع الأمور.

٧ - ومنهم بريدة الأسلمي - ثم قام بريدة الأسلمي فقال: " إنا

لله وإنا إليه راجعون " ما ذا لقى الحق من الباطل، يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت وخدعت أم خدعتك نفسك أم سولت لك الأباطيل، أو لم تذكر ما أمرنا به رسول الله (ص) من تسمية على بإمرة المؤمنين والنبي بين أظهرنا وقوله له في عدة أوقات " هذا على أمير المؤمنين وقاتل الناكثين " اتق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها وأنقذها مما يهلكها واردد الأمر إلى من هو أحق به منك، ولا تتماد في اغتصابه، و راجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتك النصح ودللتك على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيرا للمجرمين ".

٨ - ومنهم عمار بن ياسر - ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى به وأحق بإرثه وأقوم بأمور الدين وآمن على - المؤمنين وأحفظ لملته وأنصح لأمته، فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظهر شتاتكم و تعظم الفتنة بكم وتختلفون فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم وعلى (أقرب منكم إلى نبيكم وهو) من بينهم وليكم بعهد الله ورسوله (ص) وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عند سد النبي (ص) أبواكم التي كانت إلى المسجد كلها غير بابه، وإيثاره بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله (ص) " أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها " وإنكم جميعا مضطرون فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه وهو مستغن عن كل أحد منكم إلى ماله من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه وتبتزون عليا حقه وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة بئس للظالمين بدلا،

أعطوه ما جعله الله له ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.
٩ – ومنهم أبي بن كعب – ثم قام أبي بن كعب فقال يا أبا بكر لا تجحد حقا جعله الله لغيرك ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) في وصيه وصفيه وصدف عن أمره، أردد الحق إلى أهله تسلم ولا تتماد في غيك فتندم، وبادر الإنابة يخف وزرك ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربك، فيسألك عما جنيت، وما ربك بظلام للعبيد.
١٠ – ومنهم خزيمة بن ثابت، ذو الشهادتين.
ثم قام خزيمة بن ثابت فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أن رسول الله (ص) قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قالوا بلى، قال فاشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم وقد قلت ما علمت وما على الرسول إلا البلاغ المبين.
١١ – ومنهم أبو الهشيم بن التيهان.
ثم قام أبو الهشيم بن التيهان فقال: وأنا أشهد على نبينا (ص) أنه أقام عليا – يعني في يوم غدير – فقالت الأنصار: ما أقامه للخلافة وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله (ص) مولاه وكثر الخوض في ذلك، فبعثنا رجالا منا إلى رسول الله (ص) فسألوه عن ذلك فقال: قولوا لهم علي ولي المؤمنين بعدي و أنصح الناس لأمتي وقد شهدت بما حضرني " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إن يوم الفصل كان ميقاتا.
١٢ – ومنهم سهل بن حنيف الأنصاري.

ثم قام سهل بن حنيف، فحمد الله وأثني عليه وصلى على نبيه محمد وآله ثم قال: يا معاشر قريش اشهدوا على أني أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رايته في هذا المكان - يعني الروضة - وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: أيها الناس هذا على إمامكم من بعدي ووصيي في حياتي وبعد وفاتي وقاضي ديني و منجز وعدي وأول من يصافحني على حوضي، فطوبى لمن اتبعه و نصره والويل لمن تخلف عنه وخذله.

١٣ - ومنهم عثمان بن حنيف الأنصاري.

ثم قام معه أخوه عثمان بن حنيف وقال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم وقدموهم فهم - الولاة من بعدي، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأي أهل بيتك؟ فقال: علي عليه السلام والطاهرون من ولده وقد بين صلى الله عليه وآله، فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به، ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

١٤ - ومنهم أبو أيوب الأنصاري.

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم، وارددوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا صلى الله عليه وآله ومجلس بعد مجلس يقول: " أهل بيتي أئمتكم بعدي " ويومئ إلى علي ويقول: " هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله منصور من نصره " فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إن الله تواب رحيم، ولا تتولوا عنه مدبرين ولا تتولوا عنه معرضين.

قد اكتفينا بذكر نبذ يسير من كلمات جملة من المخالفين لبيعة

أبي بكر، حذرا من التطويل ورعاية للاختصار وإلا فقد ثبت في كتب التواريخ من العامة والخاصة أن أمة محمد صلى الله عليه وآله كافة كانوا في بدو الأمر مخالفين لبيعة أبي بكر، خصوصا الرؤساء مثل سعد بن عبادة ومالك بن نويرة الذين قتلا لشدة مخالفتهما وأكابر الصحابة الذين تقدم ذكر بعضهم، حتى مثل العباس وابنه عبد الله وحتى مثل أبي سفيان ونظائره من المنافقين كلهم كانوا مخالفين لبيعته، ثم بعد جلوسه على سرير الملك وتمام أمره بمعاونة المنافقين تبعه أضرابه من الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حقهم بحيث ما وجد في الإسلام ظلما وجناية أضر منها، لأنهم أسسوا مادة الظلم وأضلوا الناس عن الطريقة المستقيمة التي دل النبي صلى الله عليه وآله الأمة عليها وهداهم إليها فأوقعوهم إلى مسير الباطل والضلالة ثم أنجز آثارها القبيحة إلى آخر زمان خلفاء بني أمية ومن بعدهم من بني العباس وهكذا ينجر تبعاته إلى ظهور صاحب الأمر – المهدي عليه الصلاة والسلام الذي يقطع مادة الظلم والنفاق والكفر وينتقم من ظالمي آبائه عليهم أفضل الصلوات ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، اللهم عجل فرجهم وفرجنا بهم بحقهم عليك وبحقك عليهم آمين رب العالمين.

ومن جملة من أمعن النظر في تشخيص المذهب الحق من بين – المذاهب المختلفة الواقعة بعد النبي صلى الله عليه وآله وخصوصا في مسألة الإمامة والخلافة حتى استبصر واتبع المذهب الشيعة الاثنا عشرية بعد ما كان على مذهب أهل السنة والجماعة مدة كثيرة من عمره، المحقق الدواني (مولا جلال) الذي كان من أكابر الفضلاء ومن عظماء علماء علم الكلام وبعد ما اختار مذهب الحق بالأدلة القطعية قال: إن الذين جعلهم –

المخالفون لمذهب أهل البيت خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله واختاروهم للإمامة مع أنهم لم يكونوا ذا نفس قدسية (حتى استحقوا بها تولية أمر الخلافة) حتى يصيروا بسببها قابلا لمقام الخلافة، كانت مرتبة عقلانيتهم و درجة تفكرهم في غاية الدنائة والخساسة على حد لم يبلغوا (لم يصلوا) إلى مرتبة أوساط الناس.

ولنذكر في المقام زيادة لبصيرة الناظرين في هذا الرسالة طرفا (مما ذكره المحقق المذكور) قال رحمه الله: في رسالته – المسماة بنور الهداية التي كانت مطبوعة في ذيل كتاب الخصائص لابن بطريق، ما هذا ترجمته وبين الأسلاف وإن كان اختلاف كثير في تعيين خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولهم أقوال ومذاهب مختلفة لكن القول الحق الحقيق بالتصديق منها يدور بين المذهبين فقط وهما مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بخلافة الخلفاء الأربعة ومذهب الشيعة – القائلين بإمامة الأئمة الاثني عشر، ثم إني بعدما نظرت في كتب الفريقين رأيت فيها لإثبات مذهبهم كلمات وأدلة كثيرة لا يمكن تحريرها، لكن لما راجعت إلى قانون العقل قضيت بأن خليفة النبي صلى الله عليه وآله كان آية وأنموذجا له فلا بد أن يكون في الكمالات العلمية والعملية والنفسانية والروحانية مشابها له صلى الله عليه وآله وأن يكون ذا نفس قدسية ليكون على حسب استعداده معصوما من أول العمر إلى آخره ويكون قوله حجة لا شائبة فيه أصلا ويبقى دين النبي صلى الله عليه وآله وشريعته على حاله وبعد التتبع في الكلمات المتفق عليها (بين الفريقين) والمختلف فيها علمت بأن عليا عليه السلام بلغت كمالاته العلمية والعملية إلى حد جعله – النبي (ص) بأمر الله عز وجل في مرتبة نفسه الشريفة كما نطقت به آية المباهلة (حيث قال الله تعالى: قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم

ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم الآية (١) فإن المراد من أنفسنا هو على ابن أبي طالب عليه السلام باتفاق المفسرين، كما أن المراد من أبناءنا ونساءنا هو الحسن والحسين وفاطمة الزهراء عليهم السلام وعلمت أيضا بأنه عليه السلام صاحب نفس قدسية وعلم لدني (أي غير مكتسب) حتى قبل تولده حينما كان في رحم أمه فاطمة بنت أسد، فإن النبي (ص) حين يريها (وهي جالسة) تقوم له بلا اختيار وإرادة ولما سئلوا عنها حقيقة الحال وسبب قيامها له (ص) بلا اختيار أجابت بأني إذا رأيت خير البشر محمدا (ص) يتحرك الجنين الذي في بطني للقيام له (تأدبا) وإذا توجه النبي (ص) من جهة إلى أخرى يتحرك - الجنين في بطني واعلم أنه أقبل بوجهه نحو الجهة التي توجه الرسول (ص) إليها.

وأكثر علماء أهل السنة والجماعة ذكروا في كتبهم وجه دعائهم له ع (بعد ذكر اسمه الشريف) بكرم الله وجهه (دون سائر الخلفاء والصحابة) هذا لمعنى الذي ذكرناه، فعلمت أن مقام الرسالة ومرتبة حضرة النبي (ص) منكشف له (ع) قبل تولده وهذا من جهة كونه ذا نفس قدسية ومن خواصها، بخلاف الخلفاء الثلاثة.

---

١ - آل عمران: ٥٤.

بسم الله الرحمن الرحيم
(مبحث المعاد)
الحمد لله الذي جعل ميقات يوم القيامة، القادر على حشر – الإنسان وأن يسوي بنانه ومجمع الشمس والقمر في يوم يقول – الإنسان أين المفر وصلى الله على رسوله الذي صلى عليه ملائكة السماء وعلى آله وأوصيائه النقباء الذين هم أنوار الهدى ومصابيح الدجى والعروة الوثقي وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء واللعن على – الكافرين إلى أن يحيى الموتى.
بعد ما فرغنا عن مبحث المبدء والتوحيد وتالييه أعني النبوة والإمامة أردنا البحث عما لا ينفك عنها وهو المعاد، فنقول مستعينا بالله العظيم ومستمدا من ولي العصر صلوات الله عليه وعلى آبائه – الطاهرين وعجل الله تعالى فرجه الشريف.
المعاد في اصطلاح أهل الشرايع هو عود الأرواح إلى الأبدان العنصرية لوصولهم إلى جزاء الأفعال وشهود تجسم الأعمال وهذه هي القيامة الكبرى وأما القيامة الصغرى فهي عبارة عن تعلق الأرواح التي قطعت علاقتها عن الأبدان العنصرية بالقوالب المثالية في عالم متوسط بين العالمين (الدنيا والآخرة) المعبر عنه بعالم البرزخ والمثال، كما ورد (من مات فقد قامت قيامته) فإن المراد من

هذا البيان شهود جزاء الأعمال المناسب لعالم المثال، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، كما ورد في الخبر، أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، وقد قال الله تعالى: " ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (١) وقوله تعالى: وفي السماء (٢) رزقكم وما توعدون (٣) ومن الآيات الدالة على وجود البرزخ أيضا قوله تعالى: " ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا " (٤) لأنه ليس في الجنة الخلد بكرة وعشى، كما قال الله عز وجل في سورة هل أتى في وصف الجنة " لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا " وقد ورد أيضا في الروايات عن الأئمة الأطهار عليهم - السلام أن الشمس والقمر تمران في ذلك العالم (أي عالم البرزخ) على أهله.

وأخبار المعراج أيضا تدل على أن ذلك العالم في السماء، حيث أخبر صلى الله عليه وآله أنه تكلم في السماء مع عدة من الأنبياء ليلته ورأى

---

١ - مؤمنون: ١٠٠.

٢ - فإن المراد من السماء كما هو الظاهر سماء الدنيا ولمكان كون منشاء - الأرزاق هو الأمطار والبركات النازلة من جهة العلو بوسيلة الملائكة - المأمورين بأرزاق العباد نسب الرزق إلى السماء وقوله تعالى (وما توعدون) مربوط إلى جزاء الأعمال وهو الذي يصل إلى الإنسان بعد الموت وهو ليس إلا في عالم برزخ وفي بعض الآثار من الأئمة الأطهار إن روح المؤمن يرقى إلى السماء قبل الموت ويرى ما ادخر له (وشوهد ذلك في بعض المؤمنين - المتقين بإخباره عن ذلك قبيل موته بليلة في حالة بين النوم واليقظة) رزقنا الله وإياكم له فإنه مما يوجب سهولة النزع.

٣ - ذاريات: ٢٢.

٤ - مريم ٦٤.

صلى الله عليه وآله جماعة معذبين في جهنم، فثبت أن المراد بهذه كلها هو عالم البرزخ والقيامة الصغرى وقد فسر قوله سبحانه وتعالى في سورة النحل " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون (لهم عند الموت) سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " بعالم البرزخ، فإن الجنة التي يدخلونها الطيبون جزاءا لما عملوا بعد الموت بلا فصل قبل أن يحاسبوا تفصيلا ليست إلا جنة البرزخ، فإن ظاهر الآية الشريفة أن السلام والتحية من الملائكة يكون حين الموت وعند انتقال النفس إلى عالم الأرواح تشريفا وتكريما وظاهرها أيضا أن بعد أدائهم لما هو الوظيفة من التحيات المقررة دلالتهم على ما هو اللائق بشأنهم من. الجنات لإتمام الإكرام، ليستريحوا فيها ويتمتعوا من نعيمها صلة و جزاءا وهذا ينطق على الجنة المناسبة لعالم البرزخ والمثال.

ولما كان المعاد وإثبات القيامة الكبرى وعود الأرواح إلى – الأبدان العنصرية الناسوتية، بل القيامة الصغرى وتعلق النفوس – البشرية إلى القوالب المثالية في عالم البرزخ متوقفا على تجرد الروح وبقاء النفوس، فلا بد أولا تحقيق الحق في هذا المقام المرتبط إلى إثبات الإمكان ثم صرف عنان الكلام في خصوصيات العالمين مما يستقل به العقل ويدركه أو يحكم به الشرع ويثبته من الآيات والروايات.

فنقول: إن الأروح الإنسانية والنفوس الناطقة البشرية التي لها مقام الإدراك الكلي على ما ثبت عند العلماء المحققين مجردة عن المادة غير حالة فيها حلولا سرپانيا كحلول الماء في الورد أو طريانيا كحلول النقطة في رأس المخروط باقية بعد فساد الأبدان، وقد استدلوا على ذلك بوجوه.

الأول – إن كل فرد من أفراد الإنسان في طول مدة عمره قد أدرك أمورا والتذ من لذائذ مما يلائم مشتهياته وتألم من مؤلمات و تأثر من مؤثرات ينافر طبعه وكلما مضى عليه الزمان ومر عليه الدهر والأيام وطال عمره إذا تفكر وتذكر يسنح بخاطره الخواطر الماضية من المؤلمات والأحزان والمفرحات واللذات والأشواق، مع أنه قد ثبت في محله أن أجزاء البدن بتمامها يتحلل ويتبدل بعد مضي سنين ولو كانت المدركات والتألمات والتأثرات قائمة بهذه الأعضاء العنصرية المتغيرة المتبدلة الفانية في طول العمر فلا بد وأن لا يبقى منها صورة حتى يتذكرها لأن المركب والمعروض لهذه المعاني لو كان فانيا فلا معنى لبقاء العوارض والخواطر، بل لا بد من محوها وعدم التذكر لشئ مما أدركه في حال الصغر عند الشباب ولا بشيء أدركه حال الشباب في زمان الكبر والهرم، مع أنه يدرك ويتذكر لكثير منها ولا شبهة في أنه يعلم إجمالا أن الذي يتذكر ويدرك فعلا، هو – الذي تألم وتأثر أو التذ وليس هذا كله إلا من جهة بقاء النفس و تجرد الروح وأن الذي يدرك هو النفس بالية الأعضاء والجوارح و أن الذي يتألم أو يلتذ هو الروح بآلية أجزاء البدن والذي يكون ثابتا وراسخا ومدركا وملتذا ومتألما ومتأثرا وداعيا وباعثا وزاجرا وآمرا هو النفس الناطقة العاقلة والروح المجرد عن كل مادة وهو الذي يكون باقيا ويتذكر ما ورد عليه قبل سنين من المؤلمات والملتذات ويبقى فيها الخواطر السالفة وليس ذلك إلا لتجردها واستقلالها وعدم تغيرها وتبدلها بتبدل آلاتها وأدواتها.

الثاني – أن ملاك الإدراك ومناطه هو حصول المدرك (بالفتح) بذاته (بناءا على الوجود الذهني) أو بصورته عند المدرك وكل من

أدرك شيئا قد أدرك ذاته في ضمن إدراك ذلك الشئ، لعلمه بأن ذاته أدرك ذلك الشئ، فإدراك كل شئ ملازم لإدراك الذات، وهو ملازم لحضور الذات بتمامها عند ذاته، ولو لم يكن للنفس مقام التجرد بل كان ماديا وذا امتداد امتنع حضور تمام ذاته لذاته، لأن كل جزء من أجزاء الممتدات بمكان ومحل غير محل الجزء الآخر وكل جزء غائب عن سائر الأجزاء لكون كل جزء مادي ثابت ومستقر في محل نفسه لا في محل غيره فلا يمكن حضور الذات بتمامها عند الذات إن كانت مادية ذات مقدر وامتداد وهذا خلف. فلا بد وأن يكون – الذات المدركة بلا مادة ومقدار وامتداد ومجردة عنها و هو المطلوب.

الثالث – أن المسلم بالوجدان امتناع ورود الأحوال المتضادة والحالات المختلفة على نفس الإنسان بالنسبة إلى شئ واحد من جميع الجهات والخصوصيات، مثل أن يكون بالنسبة إلى أمر واحد في زمان فارد عالما وجاهلا وذا محبة وذا عداوة ونحوها ولو كانت النفس مادية وكانت حركاتها وسكناتها وتأثراتها من تبعات – المادة والبدن العنصري لكانت ذات امتداد ولو كانت كذلك لأمكن أن يكون جزء منها معروضا لعارض وجزء منها معروضا لما يضاده أو يناقضه وهذا خلف.

الرابع – من الواضح الذي لا ريب فيه أن الكيفيات المختلفة والعوارض الواردة على سطوح الأجسام والموجودات المادية تتزاحم ولا يمكن اجتماعها، فإذا كان لوح مشتغلا بنقوش وخطوط محيطة بجميع سطحه لا يمكن أن يرد عليه نظائرها إلا بمحو الأولى وكذلك لو كان تمام صفحته ملونا بلون أحمر لا يمكن أن يتلون

بلون أخضر إلا بمحو الأول وهكذا في أمثال ذلك. ولو كانت النفس مادية وكانت المعلومات الحاصلة فيها والصور العلمية الثابتة لديها حالة فيها حلول الحال في المحل، للزم في تحصيل المعلومات الأخر إلى محو ما كان ثابتا وحاصلا لها من العلوم والصور حتى أمكن أن يرد فيها وعليها علوما جديدة وصورا حادثة، مع أن المسلم بالوجدان، النفس كلما رقت في الدرجات العالية وكلما كثرت إحاطتها في العلوم والمعارف تصير أقوى استعدادا وأشد دركا وضبطا لما يرد عليها من المطالب الدقيقة العلمية والمعارف العقلية، والسمعية فهذا شاهد ودليل على تجردها وعدم تأثرها نظير التأثرات الثابتة للأمور المادية المركبة من العناصر.

الخامس – إن الصور العقلية والمعاني الكلية مجردة عن المادة ومحلها ليس إلا النفس الإنسانية فلا بد وأن يكون النفس مجردة لتكون محلا مناسبا للأمور المجردة، لأن المجرد لا يكون حالا في المادة لعدم المناسبة والسنخية بينهما مع لزوم السنخية بين العارض والمعروض والحال والمحل.

ومما يدل على تجرد النفس الإنسانية من القرآن العظيم قوله تعالى " ثم أنشأناه خلقا آخر " حيث إنه تبارك وتعالى بعد ما بين مراتب خلقة الإنسان مما يكون من سنخ الأجسام من العلقة والمضغة والعظام واللحم وسائر ما يتم به البدن العنصري قال عز من قائل " ثم أنشأناه الآية " أي ثم خلقنا وأنشانا إنشاءا تكوينيا سنخا آخر من الخلق من غير سنخ الأول وهذا ليس إلا النفس المجردة المدركة لا الروح البخاري الذي قوامه بحركة الدم والحرارة الغريزية الطبيعية التي من تبعات الجهات المادية وآثارها وتوابعها، فإنه بمنزلة –

المركب للروح المجرد والنفس الناطقة العاقلة المستعدة لدرك – المعاني الكلية العقلية، كما بين في محله مفصلا وإليه أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عنه صلى الله عليه وآله أن الأرواح لا تمازج الأبدان وإنما هي
كلل للبدن محيطة به، وهذا مما اتفقت عليه كلمة الأعلام و حكماء الإسلام ولا يحتاج إلى تطويل الكلام وما ينبغي البحث عنه في المقام أمران.
الأول – أن بعد إثبات الصانع العالم العادل الحكيم اللطيف الخبير وإثبات النبوة العامة والخاصة وأن الخلق لم يكن بلا غرض وحكمة وأن مقتضى حكمة الخالق ولطفه أن يكون تمام الخصوصيات المربوطة إلى عوالم الوجود على طبق أعلى درجات المصلحة و أن يكون نتيجة الخلقة وغاية أمر الدنيا المحفوفة بالمكاره وصول الخلائق إلى أعلى درجات العلو والرفعة والمعرفة وأقصى مراتب – الكمال والاطمينان والاستراحة ومقتضى عدالته إحقاق الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ومجازات الظالمين وإغاثة المظلومين حيث لابقاء للدنيا بل إنما هي دار فناء وزوال، لا يبقى ريب ولا شبهة لكل ذي عقل سليم في أنه لا بد أن يكون بعد زوال الدنيا دار باقية ليجزى فيها الخلائق حسبما عملوا في دار الدنيا، فيستريح الصالحون المطيعون الزاهدون في جوار رحمة ربهم في تلك الدار الآخرة الأبدية ويعذب الطالحون الظالمون والجاحدون المعاندون وهذا الحكم القطعي العقلي مما شهدت به الآيات ودلت عليه الروايات ولا مجال لإنكاره بعد إثبات بقاء النفس.
الثاني – أنه بعد ما ثبت بحكم العقل والنقل لزوم المعاد و

يوم الجزاء وقع البحث في أن ما ينتقل إليه الأرواح في القيامة الكبرى ويوم الحساب، هل هو عين الأبدان الدنيوية البالية العنصرية بشمل شتاتها وجميع جهاتها بأمره تبارك وتعالى كما يقتضيه الاعتبار حيث إن النفس خالفت أو أطاعت وانقادت، لما كانت تلك الجوارح فحسن المجازات وكمال المكافات بأن يكون المجازى عين من أطاع أو عصى أم لا، بل تنتقل إلى صور مجردة تعليمية ذات امتداد نظير – القوالب المثالية والصور المرآتية؟

ما وقع التصريح به في القرآن الكريم هو الأول، كما في جواب سؤال إبراهيم عليه السلام حيث قال:

" رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم أدعهن يأتينك سعيا واعلم أنه الله عزيز حكيم " (١).

وقوله تعالى في جواب " أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه "؟.

" بلى قادرين على أن نسوي بنانه " (٢) وقوله عز شأنه في جواب سؤال " من يحيي العظام وهي رميم قلى يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " (٣) وغير ذلك من الآيات، ولكن جماعة من أهل – الحكمة المتعارفة ذهبوا لشبهة عرضت لهم إلى الثاني ولا بدلنا من حلها ودفعها بعون الله تعالى وتحقيق ما هو الصواب في هذا الباب، و نقاوة ما ذكروه في المقام لإثبات مرامهم بعد تأسيس أصول كثيرة، أن مناط تحقق الشئ وتمامه وكماله ليس إلا بتحقق صورته،

---

١ – البقرة: ٢٦٢.

٢ – القيامة: ٥.

٣ – يس: ٧٩ – ٨٠.

لأن شيئية الشئ وفعليته بصورته لا بمادته، لأن الشئ في مرتبة مادته هو بالقوة وفعلية الإنسان وتمامه بوجود النفس الإنساني وهي صورته وكماله بحيث لو فرض أن نفس زيد تعلقت بصورته التي يتوهم أنها كائنة في المرات كما كانت متعلقة ببدنه الخارجي، كان ذلك المترآى زيدا وبدنه الذي كان محل علاقة النفس أولا جسما بلا حياة وجمادا بلا روح ثم بعد ما أثبتنا بالأصول المؤسسة وجود التعليمات والعالم المقداري وإمكان وجود أبدان مثالية بلا مادة تعلقت بها – الأرواح والنفوس والمفروض أن تلك القوالب المثالية كأنها عين الأبدان (١) الدنيوية بلحمها وشحمها وعظمها وسائر ما يعتبر في فعليتها (من دون أن تكون ذا لحم وشحم وعظم) فيصدق أن المحشور يوم – النشور عين المقبور في دار الغرور، وأما الأبدان التي صارت رميمة وترابا، لا دم ولا روح حيوانيا فيها لتكون واسطة لتعلق النفس بها، فكيف ترتبط النفس المجردة بها؟ فإنه لا بد أن يكون بين النفس والبدن وسائط، فإن النفس بذاتها مرتبطة بقواها المحركة والمدركة و تلك القوى مرتبطة بالبدن بواسطة الروح الحيواني البخاري وهو مرتبط بالدم والدم مرتبط بالشريانات والأوردة وهو بالأعضاء

---

١ – فإن التعليميات المثالية لها مقدار نظير الصور الموجودة في المرات وتعلق النفوس بها يكون بخلق تلك القوالب بإرادة الله تعالى توأما ومقارنا للانتقال والموت بحيث لا يبقى آنا ما بلا قالب – بمعنى أن النفس بمحض فناء الروح البخاري الحيواني وزواله بانهدام أركانه يتمثل بصورة مثل تلك الصورة الدنيوية العنصرية الناسوتية بذلك العرض والطول والحجم كما يتمثل في المرات ويظن الناظر مجردة عن المادة مع فرق أن في عالم المثال قائمة بنفسها بخلاف ما في المرات.

وإذا لم تكن هذه الوسائط فمحال أن ترتبط النفس المجردة بمادة البدن الذي صارت ترابا مطروحا على الأرض – هذه خلاصة مقالتهم.

ونقول – في الجواب عنها أولا – أن هذه الصور التي أسستم أصولها لإثباتها وأحكمتم قواعدها وشيدتم بنيانها وأتعبتم أفكاركم في تقريبها لا تنطبق على المحشور في القيامة الكبرى بوجه أصلا وإن أمكن انطباقها في ظاهر الأمر على القوالب المثالية التي في عالم – البرزخ، لأن البدن الدنيوي إذا لم يكن محشورا بعين صورته ولا بمادته فكيف يكون المعاد عين المقبور، فإن عمد شخص إلى لبنة و كسرها ثم أوجد ضورة لبنة في مادة أخرى فهل يقال إن تلك اللبنة هي اللبنة الأولى.

وأما الإشكال الذي أورده على تعلق النفس بالبدن الدنيوي، بأن النفس المجردة لا تتعلق بالبدن العنصري الذي صار ترابا لعدم وجود الوسائط التي لا بد منها في تعلقها – من الروح الحيواني و غيره الذي ذكروه في كلماتهم. فنقول: لو كان ما ذكرتم صحيحا لكان عين ذلك الإشكال واردا على القول بتعلق النفوس بتلك الصور – المجردة المقدارية التي ذهبتم إليها وقلتم بتعلق النفوس بها، فيكون ذلك كرا على ما هربتم منه وفررتم عنه، ولازم ذلك عدم القول بالمعاد والقيامة الكبرى، بل البرزخ والقيامة الصغرى لاتحاد المناط فيها.

فالذي هو الصواب في الجواب وبه ينحل الإشكال أن العالم إذا اختلف اختلفت أحكامه وتلازم الصورة والهيولى في هذا العالم لا يوجب تلازمها في عالم آخر ولا برهان على تلازمها في جميع –

العوالم، فإن عالم القيامة الكبرى له أحكام وأحوال لا يشبه أحكام هذا العالم فإن الدار الآخرة لهي الحيوان، يعني أن كلما يكون هناك يكون حيا ذا حياة مطلقة فلا يكون مثل العالم الدنيا، بأن يكون لكل شئ حياة خاصة وإدراكا مخصوصا به، مثلا إن الإنسان في هذا العالم لا يسمع ببصره ولا يبصر بإذنه ولا ينطق برجله ولا بيده، ولكن في العالم الآخرة والقيامة كل عضو يمكن أن يبصر ويسمع و ينطق، بل الجمادات يمكن أن يتكلم كما ورد إن المال ينطق ويقول لصاحبه لم ما أديت حق الله في قال الله تعالى: " إذ قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ " (١) وقال أيضا " اليوم تختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٢) ومع كون الأعضاء الغير المستعدة للنطق بحسب – الموازين العادية والمجاري الطبيعية تتكلم وتشهد بإذن الله التكويني ويخبر عما صدر قبل ألف سنة وأزيد كيف يحتاج في تعلق النفس – الإنساني بالأبدان والأعضاء البالية المتفرقة المجتمعة ثانيا بإرادة الله تعالى وقدرته إلى وساطة الروح الحيواني وعلى فرض لزوم الواسطة فهل يعجز المالك ليوم الدين الخالق لكل شئ عن خلق مثل تلك الوسائط وإيجادها آنا ما بقدرته؟!.

وبعبارة أخرى كما أن الخالق البارئ المصور قد كون ما لم يكن وأفاض الصور المختلفة على الاستعدادات المحضة في بدو الخلقة، ثم جعل الأسباب والموازين والمجاري الخاصة للاستمرار والبقاء فجعل الأصلاب والأرحام مخزن هذه الجواهر –

---

١ – فصلت: ٢١.

٢ – يس: ٦٦.

النفيسة البديعة، كذلك يقدر على إفاضة المراتب المترتبة المتتالية على الرميم الموجود في القبور البالية، بل على المتشتت في البراري والصحارى بجمعه وتأليفه بيد القدرة وبالإرادة التكوينية القاهرة و إفاضة الروح عليه بعدما تم الاستعدادات وكملت القابليات كما خلقه أول مرة حيث لم يكن على وجه الأرض أثر من ذي حياة نباتا أو حيوانا فخلق الإنسان من سلالة من طين فكيف كان خلقة آدم أبي البشر و كيف تعلق النفس المجردة الروحانية بالبدن العنصري الجسماني، بل وكذا جميع الحيوانات الأولية برية وبحرية فقد كان خلقها جميعا من العناصر الموجودة الغير الحية لفرض حدوثها فتعلقت – الأرواح بالأبدان المخلوقة من الجمادات ومن هذا الباب إحياء – الأموات عند المعجزة بدعاء الأنبياء ومسألتهم من الله تبارك وتعالى كما هو صريح الآيات وتواترت به الروايات.

فإنكار المعاد الجسماني وعود الأرواح إلى الأجسام الذي يساعده العقل السليم يخالف نص القرآن بل جميع الأديان وإنكار لما هو ضروري الإسلام، أعاذنا الله تعالى من زلات الأوهام وتسويلات الشيطان، فعليه بالحري أن يقال إن جميع النفوس المدركة لذواتها سواءا كان إدراكها عقلانيا كالانسان أو خياليا وجزئيا ككثير من – الحيوانات لها نحو تجرد وباقية بعد بوار الأبدان العنصرية فلا إشكال في تعلقها وارتباطها ثانيا بالأبدان المؤلفة المخلوقة مما تفرقت و تشتت كما قال الله تعالى في القرآن العظيم. (١)

---

١ – " إن الله يبعث من في القبور " الحج: ٧ " والموتى يبعثهم الله " أنعام: ٣٦. " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير " التغابن: ٨. " أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون " الواقعة: ٥٩ و ٦٠. ووجه الاستدلال بها على ما في التفسير الكبير أن المني إنما يحصل من فضلة الهضم الرابع وهو كالظل المنبث في أطراف آفاق الأعضاء ولهذا تشترك الأعضاء في الالتذاذ بالوقاع ويجب غسلها كلها من الجنابة، لحصول الانحلال عنها كلها، ثم إن الله سلط قوة الشهوة على البنية حتى أنها تجتمع تلك الأجزاء الظلية المتفرقة في أوعية المني والجوارح والقوى فالحاصل إن تلك الأجزاء كانت متفرقة جدا أولا في أطراف العالم ثم إنه تعالى جمعها في بدن ذلك الحيوان منبثة في أطراف بدنه ثم جمعها بقوة المولدة في أوعية المني ثم أخرجها ماء دافقا إلى قرار الرحم فإذا كانت هذه الأجزاء متفرقة فجمعها وكون منها ذلك الشخص فإذا تفرقت بالموت مرة أخرى فكيف يمتنع عليه جمعها مرة أخرى فهذا تقرير هذه الحجة. " يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة

ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج - ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور " الحج: ٦ و ٧ و ٨. " ألم يك نطفة من مني يمنى - ثم كان علقة فخلق فسوى - فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى " القيامة: ٣٨ و ٣٩ و ٤٠. " فلينظر الإنسان مم خلق - خلق من ماء دافق - يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر " الطارق: ٥ و ٦ و ٧ و ٨. " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون " البقرة: ٢٦.

" وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا - قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة " الإسراء: ٥٢ و ٥٣. " وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم " الروم: ٢٦.

" إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدءوا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون " يونس: ٤. " إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " طه: ١٥ و ١٦. واستدل تعالى بإحياء الموتى في الدنيا على صحة الحشر والنشر في الأخرى كما في خلق آدم ابتداء من غير مادة لأب وأم، ومنها قوله تعالى: " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى البقرة: ٩٨ ومنها في قصة الخليل وقوله " رب أرني كيف تحيي الموتى قال: أو لم تؤمن قال: بلى " الآية ومنها في قصة حزقيل وقوله " أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها " الآية. " ومنها في قصة أصحاب الكهف " " ولتعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها " ومنها في قصة أيوب " وآتيناه أهله ومثلهم معهم " إلى غير ذلك من الآيات.

ثم إن ما ذكرنا من إمكان المعاد الجسماني وعود الأرواح
والنفوس إلى الأبدان البالية المتلاشية عقلا ودلالة الآيات والروايات
الكثيرة عليه لا ينافي ما دل من الكتاب والسنة على تجسم الأعمال
والتمثل بصور الملكات الذي يعبر عنه بالتناسخ الملكوتي مثل قوله

عز شأنه " ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (١) وقوله تعالى: " قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنيستها وكذلك اليوم تنسى (٢) يعني إن رسلنا جاءوك بالآيات والمعجزات

---

١ - طه: ١٠٣.

٢ - طه: ١٢٦ - ١٢٧.

فلم تنظر فيها نظر عبرة وتصديق للحق ولم تتمتع ببصرك فنحن نسينا عينك وحشرناك أعمى وكذلك من لم يستمع مواعظ الأنبياء وما ألقى السمع إلى نصايح الأولياء يحشر أصم وهكذا في غيرهما من – الأعضاء والجوارح والقوى.

وأما الأحاديث، فمنها ما دل على أن الله يسلط الجرب على جماعة من أهل النار فيحكون حتى يبدو عظامهم فيقول الملائكة: هل يؤذيكم؟ فيقولون: إي والله! فيقولون: هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين ومنها قوله صلى الله عليه وآله يحشر بعض الناس على صور يحسن عندهم القردة والخنازير ومنها ما دل على صيرورة الأعمال حية أو عقربا أو صيرورتها شجرا أو نهرا أو طعاما وغير ذلك مما دل على تجسم الأعمال الخيرية والشرية، فإن يوم القيامة يوم تبلى السرائر ويظهر البواطن.

ولا يخفى أن التبدلات والتغيرات الواقعة في يوم الحشر ليس من التناسخ الباطل الذي ذهب إليه جمع بانتقال النفس من بدن إلى بدن آخر المستلزم لاجتماع نفسين على بدن واحد بل المراد هو – التصور بصورة الملكات، كما وقع نظيره في بعض الأمم السابقة في هذه الدنيا كما أشير إليه في القرآن الكريم " وجعلنا منهم القردة والخنازير وقوله تعالى " كونوا قردة خاسئين " وليس ذلك انقلاب الماهية بماهية أخرى أو انقلاب الأعراض بالجواهر وبالعكس حتى يستشكل عليه بأنه هل يبقى من المفروض انقلابه شئ وتركب مع شئ آخر فحدث شئ ثالث فهذا تركيب من بعض شئ مع شئ آخر وهذا لا يمكن فيما إذا كان الثالث نوعا من الأنواع الجوهرية أو مقولة من المقولات العرضية، لأن تركبه تركب ماهوي لا مثل –

المركبات الخارجية أو لا يبقى منه شئ فهذا إعدام لشئ وإيجاد لآخر لا الانقلاب، بل الانقلاب الحاصل في المقام نظير الانقلابات الواقعة في النطفة بتبدل صورتها إلى صورة العلقة ثم إلى صورة المضغة ثم إلى صورة العظم واللحم والشحم والأعصاب والأوردة، فإن للأعمال كبعض الحقائق والطبائع قوس صعود وقوس نزول، فقد يرتقي ويصعد ويتجلى في صورة عالية راقية ظاهرها ثم في قوس – النزول يصير أخس بحيث لا يشبه صورته العالية الأولية ثم إن في تلك المراتب المنازل يتصور بصورة تناسب تلك المرتبة وذلك المنزل وقد يكون على عكس هذا، فإحسانك إلى أحد يوجب حبه لك ويتجسم في نفس من أحسنت إليه بصورة الحب الذي هو من حالات النفس ثم في مقام الجزاء يتمثل بصورة هدية عالية غالية تهدى إليك فتلك المهدى كان هو الإحسان والخير الذي صدر منك وتصور بتلك الصورة (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وفي الحديث – وإنما هي أعمالكم ترد إليكم – ذلك بما كسبت أيديكم.

ثم لما كان المؤمن محبوبا لله تعالى لفناء ذاته في الله بحيث لا يريد ولا يتحرك ولا يعمل إلا من حيث أراد الله تعالى وأمره فالإحسان إليه إحسان إلى الله تعالى ولذلك أنه تبارك وتعالى يقول: " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا " فكل من أحسن إلى مؤمن وأهدى هدية إلى عبد صالح من عباد الله فكأنما أحسن إلى الله وأهدى إليه فإذا وصل إلى مقام قربه تعالى وقبله قبولا حسنا لخلوصه في قصده وعمله يتشكل في مقام الوصول إلى مرتبة الجزاء بشكل مخصوص يناسب ذلك العمل وطوره – ففي الكافي في باب إدخال –

السرور على المؤمن عن سدير الصيرفي قال قال أبو عبد الله عليه السلام: في حديث طويل إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه كلما رأى المؤمن هولا من أهوال القيامة قال له المثال لا تفزع ولا تحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله عز وجل حتى يقف بين يدي الله تعالى فيحاسبه حسابا يسيرا ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه فيقول له المؤمن يرحمك الله نعم الخارج خرجت معي من قبري وما زلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله حتى رأيت ذلك فيقول من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلت على أخيك المؤمن في الدنيا الحديث، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما أسري بي إلى السماء أدخلت
الجنة ورأيت فيها قيعات ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب و لبنة من فضة وربما أمسكوا! فقلت لهم ما لكم قد أمسكتم قالوا حتى تجيئنا النفقة فقلت وما نفقتكم؟ فقالوا قول المؤمن (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فإذا قال بنينا وإذا سكت أمسكنا وغيرها من الروايات الواردة في الباب.
وحاصل المرام في هذا المقام أن العمل إذا رقى في درجات الصعود والعلى أو تنزل في مراتب النزول والسفلى يتنزع عنه صورته الأولية ويتصور بصورة أخرى بعد تحولات شتى في عوالم متفاوتة كالبذر إذا زرع في المبذر يتحول بتحولات إلى أن يتحول بصورة الشجر ثم يثمر بثمر يحتوي مثل ذلك البذر فكذلك أعمال العباد بعد تحولات عديدة يصير ذلك الجزاء الذي وعده الله تعالى لعباده فإن الدنيا (كما في الحديث) مزرعة الآخرة وكذلك أبدانهم البرزخية وهياكلهم المثالية يتشكل بأشكال مختلفة حسب ملكاتهم الثابتة

الراسخة في نفوسهم وصفاتهم الكامنة في سرائرهم وليس ذلك من انقلاب الحقيقة والماهية، بل ظهور الحقيقة وبروزها وقال الشاعر الفارسي:

أي بسا ظلمي كه بيني در جهان * خوى تو باشد در ايشان اى فلان
اندر ايشان تافته هستى تو * أين نفاق وظلم وبد مستى تو
أين توئى بر خويش ضربت ميزنى * بر خود آندم تار لعنت مى تنى

وقال آخر:

دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر
* كاى نور چشم من بجز از كشته ندروى

وفي المقام إشكالان من المنكرين للمعاد.

الأول – شبهة الآكل والمأكول. والثاني – شبهة اجتماع النفسين على كل واحد من الأبدان يوم الحشر، وتقرير الشبهة الأولى وبيان الملازمة – أن الزرع والشجر ربما يتغذى من تراب بدن الإنسان ثم ينمو ويثمر بثمر يأكله إنسان آخر ويصير جزءا لبدنه أو يأكل ذلك الزرع والشجر حيوان ويصير جزءا لبدنه فيأكل الإنسان لحم ذلك الحيوان ويصير جزءا له أو يأكل إنسان أحيانا إنسانا فصار أعضاء المأكول جزءا لبدن الآكل، ففي جميع تلك الصور إذا مات الإنسان الثاني وصار أعضائه رميما وترابا إذا بعثر من في القبور يوم النشور فهل هذا التراب الذي في القبر وكان في الزمان السابق من أعضاء بدن الإنسان الأول وفي الزمان اللاحق من أجزاء بدن الإنسان الثاني يتعلق به نفس الإنسان الأول أو الثاني أو كليهما؟ فإن قلت الأول أو الثاني ففيه إشكالان، الأول الترجح بلا مرجح في

مقام التكون وهذا محال كما بين في محله – الثاني لزوم خلوا حد النفسين بلا بدن وعدم إمكان الحشر بالنسبة إليه وهذا باطل لصراحة الآيات والروايات بحشر جميع أفراد الإنسان بل الحيوان وإن قلت يتعلق به النفسان فهذا أيضا باطل غير معقول للزوم صيرورة البدن الواحد ذا نفسين وذا شخصيتين!

وأجيب عن الشبهة أولا – بأن ما يصير جزءا للبدن هو سلالة الأطعمة والفواكه والبقولات والحبوبات وغيرها ومنشأها المياه المنزلة من السماء أو النابعة من الأرض الممزوجة مع أجزاء مخصوصة من نفس تراب الأرض " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين " (١) وأما غيرها فيكون من المعدات والمقويات الموجبة لكمال الاستعداد و إفاضة الصور عليها من الخالق المصور وكذلك الأمر في النباتات والأشجار. وثانيا – المستفاد من بعض الروايات أن ما يتعلق به الأمر التكويني بالإحياء والرجوع عند قيام الساعة ويوم الحشر إنما هي الطينة الأصلية التي خلق منها وهي تكون بقدر الذر على ما حقق في محله، حيث روي أن الإنسان ليبلى في القبر حتى لا يبقى منه عظم ولا لحم ويفنى منه كل شئ إلا طينته التي خلق منها فإنها تبقى في القبر مستديرة ليخلق منها كما خلق أول مرة فبحول الله وقوته يحصل لها الرشد والكمال حتى إذا صارت إنسانا كاملا وبدنا تاما فينفخ فيه روحه الذي فارقه ويتعلق به نفسه التي قد تمثل بقالب مثالي كما أنشأ أول مرة " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة

---

١ – المؤمنون: ١٢.

أخرى (١) ففي بعض المأثورات (٢) بعد ما نفخ في الصور ولم يبق على وجه الأرض أحد، يمطر عليها أمطار كثيرة شديدة ثم يخرج الأموات من الأجداث كما ينبت الشجر من الأرض " يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر " (٣) فإن منزلة تلك الطينة منزلة بذر الجراد المدفون في الأرض يخرج منها بعد تمام نموه وكمال أعضاءه " وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت " (٤) فالحاصل إنه يحصل في الأرض مثل الاستعداد الأولى فيخلق الخلائق ثانيا بالجمع والتأليف وهو أسهل من خلقها بإيجادها وتكوينها بعد ما لم يكن شيئا أصلا (سبحان الذي خلق الأشياء من لا شئ وكونها إذ لم يكن).

وتقرير الشبهة الثانية – أن البدن إذا كمل أعضائه من العظم واللحم والأوردة والعروق والأعصاب والقلب والرية والكبد والكلية والدماغ وغيرها واستوى جمعها واستقر كل مكانه فيجري – الدم مجاريه ويحل فيه الحياة والروح البخاري فإذا تم المقتضي وانتفى المانع تتلعق به النفس المدركة العاقلة الناطقة الإنسانية، لأن حياة هذا النحو من المخلوق ملازمة طبعا لمقام الكمال، فلو أن نفسه الأولية التي ثابتة وباقية في عالم البرزخ على الفرض متمثلا بقالب مقداري مثالي أيضا تعلقت بذلك البدن العنصري الناسوتي

---

١ – طه: ٥٧.

٢ – منها ما في حق اليقين، وروى الصدوق في الصحيح عن الصادق عليه الصلاة والسلام قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال وثبتت اللحوم، وغيرها من الروايات بهذه المضامين.

٣ – القمر: ٧.

٤ – الانشقاق: ٣ و ٤.

المتشكل ثانيا من الأجزاء السابقة البالية بأمر الخالق البارئ المصور للزم أن يكون في القيامة الكبرى لكل بدن نفسان ناطقتان مدركتان وهذا مسلم البطلان.

والجواب عن هذه الشبهة – أن كل بدن على حسب الخلقة الأولية لا يكون قابلا إلا لتعلق نفس خاصة وفعلية وحدانية مخصوصة به، فإذا تم البدن المتلاشي وكمل أعضائه يتعلق به تلك النفس الأولية التي لها علاقة تامة تكوينية وسنخية خاصة، كما أن في مورد آدم على نبينا وآله وعليه أفضل السلام بعدما تمت خلقته وكملت أعضائه أمر بنفخ الروح وتعلق نفسه المقدسة الكاملة المخصوصة اللاهوتية اللائقة لمقام الخلافة عنه تعالى به، فبعد كمال البدن الخاص وحصول – الاستعداد للحياة بحكم السنخية الخاصة التامة والعلاقة الكاملة – السابقة وعدم وجود المانع والرادع، بل وجود الباعث الآمر بمقتضى " ثم أنشأناه خلقا أخر " ينجذب نفسه الأولية إليه ويتعلق به و يرتبط به ربطا تاما بالطبع لأنه قالبها الأصلي ومركبها القبلي، كما أن في عالم النوم يحصل لها انقطاع ثم تعود إليه لو لم يقض عليه الموت " والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " (١).

وروى الطبرسي في الاحتجاج، عن هشام بن الحكم أنه قال – الزنديق للصادق عليه السلام أنى للروح بالبعث والبدن قد بلى والأعضاء قد تفرقت فعضو في بلدة تأكله سباعها وعضو بأخرى تمزقه هوامها وعضو قد صار ترابا بني به مع الطين حائط!؟ فقال عليه السلام: الذي أنشأه من غير شئ وصوره على غير مثال كان سبق إليه قادر أن يعيده

---

١ – الزمر: ٤٣.

كما بداه. قال: أوضح لي ذلك، قال: إن الروح مقيمة في مكانها روح المحسنين في ضياء وفسحة وروح المسئ في ضيق وظلمة والبدن يصير ترابا منه خلق وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء وزنها وأن تراب – الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت – الأرض فتربو أي تنمو الأرض ثم تمحض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض فيجتمع تراب كل قالب فينقل بإذن الله تعالى إلى حيث – الروح فتعود الصور كهيئتها وتلج الروح فيها فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئا الخبر (٢) وتأمل في المقام فإنه من مزال الأقدام فلو زلت هاهنا تزل على الصراط، عصمنا الله تعالى من الزلات بعصمة أهل بيت العصمة عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

---

٢ – حق اليقين شبر: ٥٤.